البديع والتعالق الدلالي وأثرهما في بناء المعنى

د.أخضري عيسى أ.نويجم مسعودة
جامعة الجلفة

ملخص :
تتكون الكلمة أو أية وحدة لغوية تكبرها من جانبين أساسيين مهمين لا ينفصل أحدهما عن الآخر هما: اللفظ والمعنى. ودراسة اللغة في حد ذاتها تعد في جانب كبير منها دراسة للعلاقة بين هذين الجانبين. فاللفظ هو الحامل المادي والمقابل الحسي المنطوق للمعنى الذي هو فكرة ذهنية مجردة، وأهم ما يميزه أنه منطوق، أما مصطلح المعنى فهو من أكثر المصطلحات التي اختلف في تعريفها ويرجع ذلك إلى اختلاف اهتمامات الدارسين له وتعدد ميادين بحوثهم، بالإضافة إلى كثرة المصطلحات المستعملة في هذا المجال والمرتبطة به. ومن العلوم التي اهتمت باللفظ والمعنى علم البلاغة وعلم الدلالة، فصلة الرحم وعوامل القربى بينهما قوية. وهذا المقال يحاول إيضاح هذه العلاقة وتبيان الصلات الوثيقة بينهما. وذلك لوجود طائفة من القضايا المتصلة بالدلالة ترتبط بعلاقة أو أكثر بالدراسات البلاغية.

1/المحسنات المعنوية والعلاقات الدلالية:

التورية و المشترك اللفظي:

التورية من فنون البديع المعنويّ ، ويقال لها أيضا :(الإيهام والتوجيه والتخيير) ولكن لفظة التورية (أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمّى ، لأنّها مصدر ورّى بتضعيف الراء ، يقال ورّيت الخبر جعلته ورائي وسترته وأظهرت غيره ، كأنّ المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر.

وفي الاصطلاح : هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان ، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد.(1)

فالمراد في التورية المعنى البعيد وليس القريب ،بالرغم من ان القريب غير المقصود دلالة اللفظ عليه ظاهرة. والبعيد دلالة اللفظ عليه خفية، فيظن السامع أن المعنى القريب هو المراد إلا أن المتكلم قد جعل القرينة في كلامه لتدل على المعنى البعيد فهي تشير إليه ولا تظهره، فلو لم يتيقن السامع ويفطن لسياق الكلام لما وصل إلى المراد، وبالتالي فسد الكلام بين يديه .(2) مثل قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾(3). أراد بقوله:﴿ جَرَحْتُمْ ﴾ معناه البعيد : وهو ارتكاب الذنوب.

وكذلك المشترك اللفظي هو مجيء اللفظ الواحد لمعنيين فأكثر،و هذا لا شك في أن مأتاه من تعدد الوضع وتباين اللغات ، لان الألفاظ متناهية و المعاني لا تتناهى، فإذا وزعت هذه على تلك لزم الاشتراك واختصاص اللفظ الواحد بمعنيين أو أكثر.(4)

وهذا ما ذهب إليه سيبويه في قوله:" واعلم أن كلامهم(....) اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين" و يقول ابن فارس في (باب أجناس الكلام في الاتفاق و الافتراق): " يكون ذلك على وجوه (....) (ويعددها) ، ومن اتفاق اللفظ واختلاف المعنى قولنا: عين الماء–وعين المال–وعين الركبة –وعين الميزان".(5) ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾(6).

يقول: أما فعلي ما فعلت بالسفينة، فلأنها كانت لقوم مساكين﴿ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ بالخرق الذي خرقتها. وقوله: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ وكان أمامهم وقُدّامهم ملك.أي كان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة

غصبا.(7) . فكلمة ﴿وراءَهُم ﴾ جاءت بمعنيين متضادين المعنى الأول أمامهم وهو المقصود في الآية الكريمة ، أما المعنى الثاني فهو خلفهم (وراءهم).

وبما أن التورية هي أن يكون للفظ معنيان فهي بذلك قد تتشابه مع المشترك اللفظي ، وقد تختلف معه، تشترك معه من حيث الدلالة على معنيين أو أكثر ومن حيث القرينة فكلاهما محتاج إليها لتنير الطريق أمام ذهن القارئ لكي يفهم المراد، غير انه بجانب ذلك فان ثمة أمورا يختلفان فيها كل الاختلاف بحيث تصبح التفرقة بينهما واضحة غير مبهمة. وكذلك تتشابه التورية مع نوع من أنواع المشترك اللفظي و هو تعدد المعنى(يطلق على الدال الذي يكون له أكثر من مدلول)وهو يعني أن للكلمة الواحدة معنيين مختلفين احدهما مجازي و الأخر حقيقي.

والمعنيان في التورية احدهما حقيقيا والآخر مجازيا ومنه فاللفظ له حقيقة ومجاز والمراد هو المعنى المجازي لا الحقيقي منهن وتجدر الإشارة إلى أن الحقيقة و المجاز ليس بينهما لزوم انتقال من احدهما للآخر.(8) فنجد مثلا في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(9).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: "إنما حوّلناكم إلى قِبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم؛ لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسَط هاهنا: الخِيار والأجْوَد، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي خيرُها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطًا في قومه، أي أشرفهم نسباً، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر، كما ثبت في الصحاح وغيرها.(10). فالمعنى الحقيقي لكلمة (وَسَطًا) تعني التوسط لكن المعنى البعيد هو خيارا.. والمخطط الآتي يوضح هذه الفكرة :

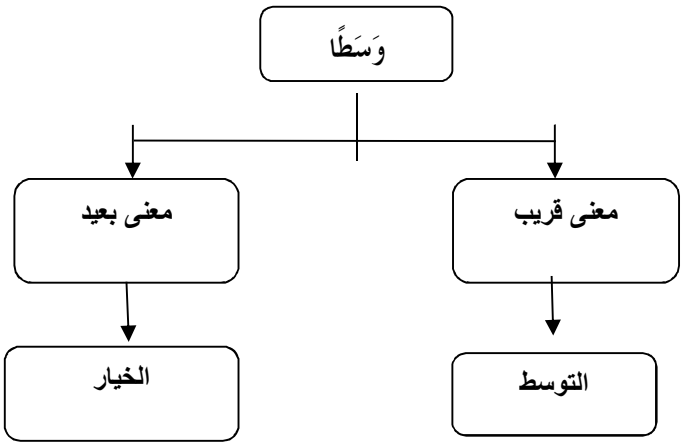

وبذلك يكون المعنى القريب الحقيقي ساتر للمعنى البعيد المجازي. كما أن القرينة هامة جدا في التورية و المشترك اللفظي لأنها تساعد السامع على فهم مقصود الدلالة فتصرف ذهنه إلى المعنى المراد، إلا أنها في المشترك اللفظي قرينة للحقيقة وليس ثمة قرينة للمجاز.

- الطباق والمشترك اللفظي:

الطباق: هو أن يُجمع بين متضادّين في الدلالة مع مراعاة التقابل اللفظي كلفظي البياض والسواد. وهو قسمان(11) : طباق إيجاب: و هو أن يُذكر اللفظ و ما يُقابله في المعنى شريطة أن يكون اللفظان من نوع واحد إما اسمين كقوله عز وجلّ : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ (12)

حيث عقد سبحانه وتعالى في هذه الآيات مقارنة بين أضدادٍ لتوضيح الفرق الشاسع بينها، وهي: الأعمى وهو الكافر. والبصير أي المؤمن ، والظلمات وهي الكفر، والنور أي الإيمان ، والظل وهو الجنّة ، والحرور أي النار . الأحياء: / الأموات.(13). أو فعلين مثل قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (14). أو حرفين، كقوله سبحانه : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(15) ؛ وطباق سلب : وهو أن يؤتى بمعنى ثم بما يقابله باستخدام أدوات النفي ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (16). وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ (17)

وهناك أيضا أوجه تشابه بينه وبين المشترك اللفظي و يكمن التشابه بينهما فان كلاهما له معنيان متقابلان متضادان. في حين نجدهما يختلفان من حيث اللفظية ، فالطباق هو الجمع بين متضادين. والمشترك اللفظي هو مجيء اللفظ الواحد لمعنيين فأكثر. مثل قوله تعالى في الآية 15 من سورة الملك : ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾أي إليه البعث من القبور .ونشور الأوراق أي انبسطت وامتدت(18) . فنلاحظ أن لفظة النشور تعددت معانيها حسب سياقها .

- الاستخدام و المشترك اللفظي:

يعرف الاستخدام عند البلاغيين اصطلاحا كما يلي: هو أن يراد بلفظ له معنيان احدهما ، ثم يراد بضميره الآخر. أو يراد بأحد ضميريه احدهما ، وبالأخر المعنى الآخر.(19). فهناك إذن إذن لفظ وهذا اللفظ له معنيان ، وتارة يوجد ضمير واحد وأحيانا يوجد ضميران . وهو نوعان:

1-أن يأتي بلفظ ثم يؤتى بضمير ليدل على المعنى الأخر: ومن أمثلته قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين)(20)

فالإنسان تعني آدم –عليه السلام- بينما الهاء في (جعلناه) تدل على أبنائه و نسله.

2- أن يأتي المتكلم بلفظ مشترك ثم بلفظين يفهم من احدهما احد المعنيين و من الأخر الأخر(21)(. مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39)﴾ (22)

فلفظ كتاب تحتمل معنى الأجل المكتوب كما تحتمل معنى الكتاب العادي، فجاءت لفظة (اجل) لتخدم المعنى الأول، ثم جاءت لفظة (يمحو) و (يثبت) لتخدم المعنى الثاني.(23)

وهذا يقترب كثيرا من المشترك اللفظي حيث أن للفظ أكثر من معنى ، غير أن في المشترك يراد واحد منها بدلالة القرينة، وفي الاستخدام يراد المعنى و يتحدد بعودة الضمير عليه.

فكلمة كتاب قد تكررت مرتين لكن اختلف المعنى وهذا ما ذكره سيبويه:" واعلم أن كلامهم(....) اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"(24)

ونجد أيضا أن في الاستخدام قد يكون المعنيان حقيقيين فيتشابه بهما مع المشترك ، وقد يكونان مجازيان وقد يكونان مختلفين بين الحقيقة و المجاز.

- التورية و التضاد :

عرفنا التورية آنفا أنها أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان ، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد.(25) . أما التضاد فهو إيقاع اللفظ الواحد على معنيين متناقضين والقرينة هي التي ترشح أيهما المقصود بالدلالة ومن ثم فلا يراد

المعنيان في آن واحد بل معنى واحد فقط و هو الواقع حقيقي لا دخل للمجاز فيه. ومن أنواعه : تضاد العكس أو التضاد الحاد و يكون بين ثنائيات الكلمات مثل (موت /حياة ، اسروا / اجهروا)

ومن أمثلة التضاد قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾(26) . فكلمة وراءهم جاءت بمعنيين المعنى الأول يعني خلفهم ، والمعنى الثاني : أمامهم وهو المقصود، فنجد أن المعنيين من حيث دلالة اللفظ عليهما متساويان إلا أن الجامع لهما هو الضدية ، كما أن استخدام اللفظ يدل على معنى واحد فقط هو المعنى الظاهر من دلالة اللفظ عليه و إن احتاج كالتورية للقرينة لتحديد معناه لأنه لو أطلق و خفيت دلالته لأدى إلى الإبهام أو الغموض أو ذهب بالسامع إلى غير قصد المتكلم .

كما أن العلاقة بين المعنى القريب و المعنى البعيد في التورية ليست كالعلاقة بين المعنيين في التضاد ، إذ العلاقة بينهما هي الضدية و هذا غير موجود في التورية ، فهما و إن اشتركا في المعنيين و القرينة ومن حيث اللفظية إلا أنهما قد افترقا فيما بينهما.(27)

- الطباق والتضاد:

الطباق والتضاد يتشابهان كثيرا وذلك لان كلاهما يحملان لفظان مختلفان ومعنيان متضادان.ولا مجاز فيهما. وإذا تأملنا أنواع التضاد وأنواع الطباق نجد أنهما يتشابهان أيضا فمن أنواع التضاد نجد:

التضاد غير المدرج (الحاد) : ونميزه بنفي احد طرفي التقابل الذي يساوي الثاني كاملا وهذا النوع من التضاد يقابل طباق السلب الذي هو ما جاءت فيه إحدى الكلمات منفية والأخرى مثبتة.(28) ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَعْدَ اللّهِ لا يُخْلِفُ اللّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7) ﴾ (29) . فيعلمون الأولى منفية بلا، بينما الأخرى مثبتة.

التضاد المدرج : ويقابله الطباق المعنوي وهو ما يتنزل منزلة الضد (30) ،ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.(31) . فالأسى نوع من الحزن وهو مثله ويتنزل منزلته ولذلك كانت تأسوا ضد تفرحوا . وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (32) . فكلمة اهتزت تعني تحركت واضطربت(33) وهي بذلك ضد هامدة.

تضاد العكس : وهو يقابل طباق الحقيقة وهو ما كان اللفظان فيه متضادين وكان معناهما متضادين. نحو قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (34)

وقوله : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ(45) ﴾.(35)

- الطباق و الترادف :

الترادف هو ترادف لفظين فأكثر على معنى واحد ، كما تقول الأسد و الليث و الغضنفر ونحو ذلك.(36)

وفي تعريف أخر: هو عبارة عن الاتحاد في المفهوم ، وقيل هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد.(37) . وقد عرفه الرازي : هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد.(38) . أما الجرجاني فقد عرفه في كتابه التعريفات بقوله: المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة و هو ضد المشترك.(39) . مثل قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (40) ؛ وقوله تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ (41) . فكلمة اقسموا في الآية الأولى ترادف يحلفون في الآية الثانية.

ومن أنواعه :

1- الترادف الكامل أو المتماثل : حيث يتطابق اللفظان تمام المطابقة (42).مثل قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (13)أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(43) فكلمة العليم ترادف الخبير.

2- شبه الترادف أو التداخل و التقارب: وذلك حين يتقارب اللفظان تقاربا شديدا إلى درجة يصعب التفريق بينهما عند غير المتخصص، مثل استخدام القران الكريم لكثير من الكلمات مثل : عام-سنة-حول.(44)

3- التقارب الدلالي: ويكون حين يتقارب المعنيان ، لكن اللفظان يختلفان في ملمح أو صفة تمييزية واحدة على الأقل مثل حلم و رؤيا.(45) . ونجد الترادف يتفق مع الطباق من حيث اللفظية فقط أما من حيث المعنى فهما يختلفان.

فالترادف هو لفظين أو أكثر واتحاد المعنى .والطباق اختلاف اللفظين و تضاد المعنى. مثل قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (46).. فهنا نلاحظ ان العلاقة بين الكلمتين (أيقاظ/ رقود) هي علاقة تضاد وتقابل فكلا الكلمتين تحمل أحداهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى و يمكن عده مظهر من مظاهر التناسق الأسلوبي في القران الكريم .كما أن كلا الكلمتين متقاربان دلاليا فبالرغم من اختلاف اللفظان إلا أن المعنيين متقاربان ويدوران في حقل واحد وهو النوم.

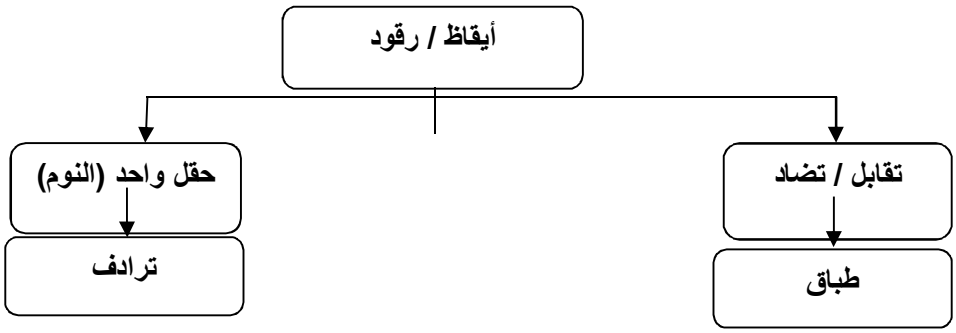

2/المحسنات اللفظية و العلاقات الدلالية:

الجناس و المشترك اللفظي

الجناس لغة: جانس الشيء و مجانسة وجناسا ، شاكله واتحد معه في الجنس. وفيه يقول الصفدي : "اعلم أن الجناس إما أن يكون ركناه متفقين لفظا، مختلفين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما، فهذا هو الجناس التام ومنهم من يسميه الكامل ومنهم من يسميه المستوفي، ومنهم من يسميه المماثل، وهو أعلى أنواع الجناس مرتبة"(47)

وقال الخطيب القزويني :"الجناس هو تشابههما في اللفظ ، والتام منه ان يتفقا في أنواع الحروف و أعدادها وهيئاتها وترتيبها"(48)ومن أنواعه:

1- التام : ما اتفقت حروفه في الهيئة و النوع و العدد و الترتيب.

2- غير التام : ما اختلت فيه احد الشروط.(49)

ويتشابه المشترك اللفظي مع الجناس التام و ذلك مثل قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (50)فقد اتحد اللفظان (ساعة /ساعة) غير أن المعنى فيهما مختلف، فالساعة الأولى مقصود بها يوم القيامة والساعة الثانية قصد بها الساعة الزمنية أي مجرد الوقت. وقوله تعالى: ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (51). فالأبصار الأولى : العين وهي جمع بصر، والثانية مقصود بها البصائر و العقول.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(52)

فأحد الأولى بمعنى الواحد (الله) و احد الثانية بمعنى شخص أو أي نفر(53) .وقال السيوطي(:إن الثانية بمعنى الجمع و هو من الألفاظ التي لا تستعمل في الإثبات، وإنما تستعمل في النفي)(54)

ومنه فالاشتراك و الجناس متفقان من حيث اللفظية و المعنى ..فكلاهما يقوم على اتحاد اللفظ و اختلاف المعنى.

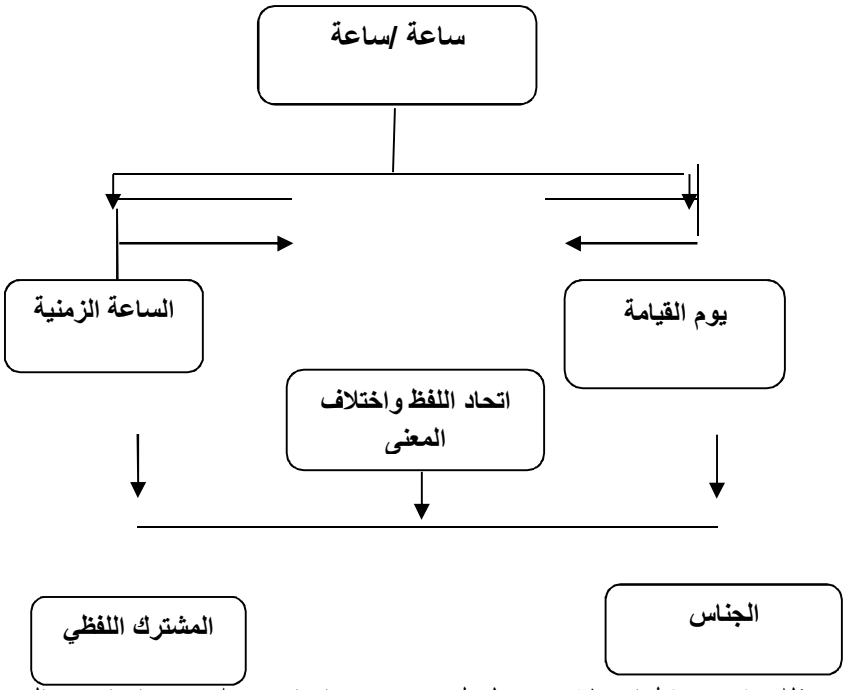

لكن يبقى بعد ذلك انه في الجناس لابد من لفظين يتحد مبناهما و يختلف معناهما ، وبالنسبة للمشترك قد يكتفي فيه باللفظ الواحد و تكون القرينة محددة للمقصود.

وقد يقع الجناس بين لفظين من نوع واحد، أو بين لفظين من نوعين مختلفين في الاسمية و الفعلية و الحرفية بخلاف المشترك ليس فيه هذا التنوع.(55)

ويبقى أن كليهما فن قائم برأسه ، فالجناس تشابه اللفظين و اختلاف المعنيين ، أما المشترك فيستطيع أن يكون لفظ واحد ويدل على أكثر من معنى.

كما أنهما لا يستحسنان إلا إذا تعاون اللفظ مع المعنى ، دون تصنع و افتعال مع مراعاة النظير و تمكن القرائن ، فتاتي المعاني على سجيتها دون تكلف و تطلب ، فيستدعي ميل السامع للإصغاء لان السامع يصاب بالشدة والاستغراب عندما يسمع مكررا مختلف المعنى متحد المبنى.(56)

- الجناس و التضاد :

بالنسبة للجناس و المتضاد فان الأمور أيضا قد تتوازى لدرجة يظن معها القارئ اتحادا، وقد تختلف فيكون الاختلاف واضحا. فنجد كليهما مشتركا في اختلاف المعنى فمثلا لفظ القرء يدل على الحيض و الطهر و سياق الكلام و القرينة يحددان المراد من الدلالة على أيهما.و كقولهم الصريم : يقال لليل و للنهار ، لان كليهما ينصرم من الآخر فأصل المعنيين من باب واحد و هو القطع.

وإذا كان اللفظ في التضاد يحتمل معنيين وكما سبق تأتي القرينة لتحدد أيهما المقصود، ففي الجناس نجد معنى واحدا للفظ ثم يأتي اللفظ الأخر ليختلف معه في المعنى ، ومن ثم فلا إبهام في الجناس، وربما يحدث هذا الإبهام في المتضاد إلا إذا كان

القارئ عارفا بما ينطوي عليه المثل خاصة في القضايا الشرعية، إذا خفيت القرينة فيقع الإنسان في حيرة ، فإذا لم يتبين المراد وقع في النقيض أو الضد بحمل المراد على غير المقصود.(57)

فالجناس إذن لفظان متحدان ومعنيان مختلفان وفي التضاد لفظ واحد ومعنى مختلف /وأيضا من أنواع التضاد لفظان مختلفان ومعنيان مختلفان.وهذا هو وجه التشابه بينه وبين الجناس .فيتشابهان من حيث اختلاف المعنى فقط.

أما مظاهر الاختلاف فكثيرة لعل أهمها:

أنّ المعول في استخدام الأضداد على سياق الكلام الذي يحدد أي المعنيين هو المراد عن طريق القرينة ، بينما في الجناس نجد لفظين محددين بمعنيين مختلفين بقرينة لكل منهما ، وإذا كان ليس ثمة ما يمنع من وجود المجاز في احد طرفي الجناس التام نجد ان المجاز يخرج اللفظ من حيز التضاد إذ لا مجاز في الأضداد.(58)

- المشاكلة والتضاد :

الشكل بالفتح ،الشبه والمثل ، والجمع اشكال وشكول"، والمشاكلة : الموافقة . وتسمى (تجانس المزاوجة). أما ابن الأثير فانه يجعلها احد ضربي مقابلة الشئ بمثله، وسماها مقابلة المفرد ، وهي عنده تقابل باللفظ والمعنى" . أما السكاكي فيعرفها :" أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته" وزاد القزويني بقوله :"ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في حبته تحقيقا او تقديرا"(59)

إذا كانت المشاكلة مبنية على لفظ بمعنى ، ولفظ آخر اخذ ذلك المعنى وقت وقوعه في مصاحبة اللفظ الأول مثل قوله تعالى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (60) فالسيئة الثانية معناها العقوبة المناسبة للسيئة الأولى ، و العقوبة لا تعتبر سيئة لأنها ردع للجاني حتى لا يرتكب ما ارتكب مرة ثانية ، وهنا حمل اللفظ الثاني على الأول.(61)

فإن التضاد أيضا قائم على اعتبار أن اللفظ واقع على معنيين ضدين فكلاهما له معنيان المشاكلة بلفظين و التضاد بلفظ واحد و قرينة على سبيل الحقيقة لا المجاز.

فمثلا كلمة صار بمعنى جمع وبمعنى قطع وفرق، ومن قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ (62) بمعنى اجمعهن و ضمهن.

وقد اتفقت المشاكلة مع التضاد في الضدية ، فالمشاكلة أيضا قد تجري بلفظين ضدين . مثل قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (63)

فلفظة نفس الثانية مشاكلة للفظة نفس الأولى ، لان الله عز وجل لا نفس له على الحقيقة.و(نفس) هنا بمعنى الذات (64) و قد أقام نفسك مقام ذاتك لتشاكل نفسي ، وقد ينتج عن المصاحبة في المشاكاة عدول عن دلالة اللفظ الموضوع له أصلا إلى دلالة جديدة ليست له إلا في هذا الاستخدام، وقال الزمخشري:(والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام و بينه فقيل (في نفسك) لقوله (في نفسي)" وقال أبو حيان "خص النفس لأنها مظنة الكتم والانطواء على المعلومات ، بمعنى تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي"(65).

- الجناس و المترادف :

بين الجناس و الترادف اتفاقا من حيث اللفظية فقط أما من ناحية المعنى فلا، ففي الجناس لفظان متحدان و معنيان مختلفان – كما سبق- بينما نجد في الترادف لفظين متحدين و معنيين أيضا متحدين و ذلك لدلالة الأسماء المترادفة على ذات واحدة(66) و ذلك كقولنا في السيف : الحسام و المهند و البتار ....الخ

فمهما اختلفت الأسماء فان جميعها تدل على السيف المعروف ولكن بزيادة بعض الصفات في صفة عن الأخرى.كما أننا نجد في الجناس لفظين ، وفي الترادف لفظين أيضا لكن التفرقة بدلالة المعنى ، ففي الجناس مختلفان وفي الترادف متحدان. كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(67) . فكلمة (خاسئا) ترادف (حسير) وذلك لتقاربهما في المعنى ، فخسئ البصر اي ذل البصر ، وحسر البصر بمعنى كل البصر(68).كذلك قوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَر خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ (69). فكلمة ينقلب في الآية 4 ترادف كلمة ارجع بمعنى يرجع في الآية 3

واستتباعا لهذا فإن الفروق بين المعاني في الترادف رقيقة متموجة تحتاج إلى تدبر وتأمل بينما هي في الجناس واضحة لاختلاف المعنى برغم اتحاد المبنى.

وإذا كان الجناس يحصل بين كلمتين من نوع واحد أو كلمتين من نوعين مختلفين، فإننا نجد الترادف لا يكون إلا بين كلمتين من نوع واحد سواء كانا اسمين أو فعلين كأسماء السيف مثلا، أو الأفعال(قعد – جلس) .

وأيضا لا مجاز في الترادف لأن اعتبار المجاز فيه يخرجه من الترادف ، بينما المجاز موجود في الجناس التام لذا فان القرائن فيهما تختلف باختلاف الحقيقة و المجاز في كليهما.

– المشاكلة و الترادف :

قلنا فيما سبق أن الترادف هو دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد كالسيف ، والمهند، والصارم والبتار، (70) وما إلى ذلك من ألفاظ أطلقت على آلة القتال المعروفة.

والمشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره المصاحب له لوقوعه في صحبة ذلك الغير تحقيقا وتقديرا فهذا الوقوع تسبب في أن يأتي على شاكلته و يترك معناه الحقيقي الموضوع له أصلا وقت مجاورته لذلك الغير المذكور هذا اللفظ بمعناه (71) .

والمشاكلة قد تتشابه مع الترادف من حيث أن لكليهما معنيين ، والقرينة و سياق الكلام يحددان المعنى المراد و قد يذكر اللفظ في المشاكلة أو الترادف بمعنى من المعاني لان السياق تطلبه أو أن المتكلم قصد من وراء ذلك إلى غرض بلاغي فجاء بكلامه على هذه الصورة. ومنه قوله تعالى : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (72). فذكر التطهير بلفظ الصبغ على سبيل المجاز لان التطهير بالإيمان الحقيقي رد على النصارى الذين يغمسون أبناءهم في مياه المعمودية لينصروهم (فصار التعبير بالصبغة عن الإيمان الحقيقي للرد عليهم و ادعائهم التغطيس تطهيرا وهو الكفر مشاكلة لأنه يقدر هذا اللفظ كأنه صادر منهم بقرينة النزول في شان الرد عليهم فيما يستحق أن يسمى صبغا. فهنا مصاحبة المعنيين و مصاحبة اللفظين إلا أن احدهما مقدر و هو كالمذكور)(73) .

ومن نقاط اختلافهما :

–أن يذكر الشيء بلفظ غيره المصاحب له لوقوعه في صحبة ذلك الغير تحقيقا أو تقديرا خاص بالمشاكلة، أما في الترادف فليس هناك صحبة داعية وليس هناك أيضا تقدير أو تأويل بل اللفظ مذكور وحده دون مصاحبة.

قد لا تكون المشاكلة من الحقيقة وقد لا تكون من المجاز وذلك عكس الترادف تماما لأنه لا خلاف في كونه حقيقة مقررة لا دخل للمجاز فيها. ونجد في المشاكلة ألفاظا – سواء هي اسما أو أفعال – أما في الترادف فبجانب ذلك تدخل الصفات (74).

خاتمة :

نختم هذا المقال بجملة من النتائج التي نقدمها بين يدي القارئ الكريم للاسترشاد بها في هذا الموضوع المهمّ الذي يجمع بين علميْن يمثلان أهم أقطاب البحث في المعنى ودلالات اللفظ وأبعاده.. ونوجز هذه النتائج فيما يأتي:

ان البلاغة العربية القديمة كانت عبارة عن لائحة وصفية جامدة، إلى أن وطدت علاقاتها بعلم الدلالة الذي فتح لها آفاقا جديدة و طرقا ساهمت في زيادة العلاقة بينهما ، وبذا استفادت البلاغة من علم الدلالة كما انتفع هو الأخر بالدراسات البلاغية ، فصارت العلاقة بينهما اخذ وعطاء و تأثير و تأثر ، فتغير المعنى ينتج شكلا دلاليا كما ينتج لونا بلاغيا.

ومن نقاط التقاء البلاغة و علم الدلالة نجد المحسنات البديعية والعلاقات الدلالية فالمحسنات البديعية هي التي يعود فيها التحسين إلى اللفظ أو المعنى وتشترك أو تختلف مع بعض قضايا الدلالة .

تشترك التورية مع المشترك اللفظي من حيث الدلالة على معنيين أو أكثر ومن حيث القرينة فكلاهما محتاج إليها لتنير الطريق أمام ذهن القارئ لكي يفهم المراد. وأيضا تتشابه التورية مع نوع من أنواع المشترك اللفظي وهو تعدد المعنى(يطلق على الدال الذي يكون له أكثر من مدلول)وهو يعني أن للكلمة الواحدة معنيين مختلفين احدهما مجازي و الأخر حقيقي. كما انه ثمة أمورا أخرى تفرق بينهما من حيث الحقيقة و المجاز، و القرب و البعد .

يتشابه الطباق مع المشترك اللفظي و يكمن التشابه بينهما فان كلاهما له معنيان متقابلان متضادان. في حين نجدهما يختلفان من حيث اللفظية.

يتشابه الاستخدام مع المشترك اللفظي حيث أن للفظ أكثر من معنى . ويختلفان في انه في المشترك يراد معنى واحد منها بدلالة القرينة، وفي الاستخدام يراد المعنى و يتحدد بعود الضمير عليه.

تشترك التورية مع التضاد في المعنيين و القرينة ومن حيث اللفظية إلا أنهما قد افترقا فيما بينهما.

الطباق والتضاد يتشابهان كثيرا وذلك لان كلاهما يحملان لفظان مختلفان ومعنيان متضادان. ولا مجاز فيهما. ويتفق الترادف و الطباق من حيث اللفظية فقط أما من حيث المعنى فهما يختلفان.

يتشابه الجناس و المشترك اللفظي من حيث اتحاد اللفظين (ساعة /ساعة) غير أن المعنى فيهما مختلف. ويتشابه الجناس مع التضاد في أن كليهما مشتركا في اختلاف المعنى فمثلا لفظ القرء يدل على الحيض والطهر. غير أن المعنى فيهما مختلف.

يتشابه التضاد مع المشاكلة على اعتبار أن اللفظ في التضاد واقع على معنيين ضدين فكلاهما له معنيان . المشاكلة بلفظين و التضاد بلفظ واحد و قرينة على سبيل الحقيقة لا المجاز.

الهوامش والإحالات:

(1) علي الجارم ، مصطفى أمين : البلاغة الواضحة (البيان .المعاني.البديع)، ط01 ، دار المعارف ، 1999، ص 277.

(2) د. عبد الواحد حسن الشيخ: العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي(دراسة تطبيقية)، ط01،مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 1419ه-1999م، ص 154.

(3) الأنعام ، 60.

(4) د. عقيد خالد حمودي العزاوي .علم الدلالة دراسة و تطبيقات ، ط 1، دار العصماء سوريا ، دمشق ، 2012، ص 114.

(5) د. توفيق محمد شاهين ، المشترك اللغوي – نظرية و تطبيقا- ط1 ، مطبعة الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، 1400ه-1980 م ، ص 37.

(6) الكهف ، 79.

(7) الشيخ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، ج 3 ، شركة الشهاب الجزائر ،1990، ص 312.

(8) حفني ناصف – سلطان محمد –محمد دياب- مصطفى طموم، دروس البلاغة ، شركة غراس للطباعة و الكمبيوتر.ص 161.

(9) البقرة ،143

(10) موسى ابراهيم الابراهيم ، تاملات قرانية ، بحث منهجي في علوم القرآن ، ط 2 ، دار عمار ، شركة الشهاب الجزائر 1988، ص144.

(11) د. إبراهيم محمود علان: البديع في القرآن أنواعه ووظائفه ، ص 222

(12) فاطر (19-20-21-22)

(13)منجد الطلاب ، ضبط : فؤاد افرام البستاني ، ط 13، دار المشرق بيروت ، 1973.

(14) آل عمران 26.

(15) البقرة 286.

(16) الزمر 09.

(17) المائدة44

(18) الشيخ محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 418.

(19) جلال الدين القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، ط 5، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1403-1983، ص 502.

(20) المؤمنون(12-13)

(21) د. إبراهيم محمود علان: البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، ص 342.

(22) الرعد (38-39)

(23) د. إبراهيم محمود علان: البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، ص 343.

(24) د. خليفة بوجادي ، محاضرات في علم الدلالة ، ط1، لجنة الحفلات لبلدية العلمة ، سطيف 2005، ص 58.

(25) علي الجارم ، مصطفى أمين ، البلاغة الواضحة (البيان – المعاني – البديع) ، ص 277.

(26) الكهف ، 79.

(27) د. عبد الواحد حسن الشيخ: العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي(دراسة تطبيقية)،

(28) د . خليفة بوجادي ، محاضرات في علم الدلالة ، ص 61.

(29)الروم(6-7)

(30) د . خليفة بوجادي ، محاضرات في علم الدلالة ، ص 61.

(31)الحديد 23.

(32)الحج 5.

(33)راجع ذلك في منجد الطلاب .

(34)الملك13.

(35)النجم (43-44-45)

(36) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ اداب العرب ، ج1 ، ط5، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1999، ص 189-190 .

(37) د. عقيد خالد حمودي العزاوي ، علم الدلالة ، ص 120.

(38) د. احمد مختار عمر ، علم الدلالة ، دار عالم الكتاب ، ص 215.

(39) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ اداب العرب، 191.

(40)الانعام ، 109.

(41) التوبة 74.

(42) د . خليفة بوجادي ، محاضرات في علم الدلالة ، 65.

(43) الملك ، (13-14)

(44) د . خليفة بوجادي ، محاضرات في علم الدلالة ، 65.

(45) المرجع نفسه ، ص 66.

(46) الكهف ، 18.

(47) د. ابراهيم محمود علان ، البديع في القران – انواعه و وظائفه- ، ص 107.

(48) جلال الدين القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 535.

(49) د. ابراهيم محمود علان ، البديع في القران – انواعه و وظائفه ، ص 115.

(50) الروم ، 55.

(51) النور ، (43-44).

(52) الاخلاص ، (1-5).

(53) د.إبراهيم محمود علان ، البديع في القران – أنواعه ووظائفه – ص 109.

(54) المرجع نفسه ، ص 110.

(55) .إبراهيم محمود علان ، البديع في القران – أنواعه ووظائفه – ص 110

(56) د. عبد الواحد حسن الشيخ ، العلاقات الدلالية و التراث البلاغي العربي ، ص 148.

(57) المرجع نفسه ، 150.

(58) د. عبد الواحد حسن الشيخ ، العلاقات الدلالية و التراث البلاغي العربي ، ص 151.

(59) د. ابراهيم محمود علان ، البديع في القرآن ، انواعه ووظائفه، ص 131.

(60) الشورى ، 40.

(61) د. ابراهيم محمود علان ، البديع في القرآن ، انواعه ووظائفه ، 133.

(62) البقرة ، 260.

(63) المائدة 116.

(64) د. ابراهيم محمود علان ، البديع في القرآن ، انواعه ووظائفه ، 133.

(65) المرجع نفسه ، 134.

(66) د . توفيق محمد شاهين ، المشترك اللغوي ، 216.

(67) الملك ، 4.

(68) منجد الطلاب ، فؤاد افرام البستاني.

(69) الملك(3-4)

(70) د. عبد الواحد حسن الشيخ ، العلاقات الدلالية و التراث البلاغي العربي ، ص 152.

(71) د. ابراهيم محمود علان ، البديع في القرآن ، انواعه ووظائفه ، 133.

(72) البقرة ، 138.

(73) د. ابراهيم محمود علان ، البديع في القرآن ، انواعه ووظائفه ، 136.

(74) د. عبد الواحد حسن الشيخ ، العلاقات الدلالية و التراث البلاغي العربي ، ص 164.